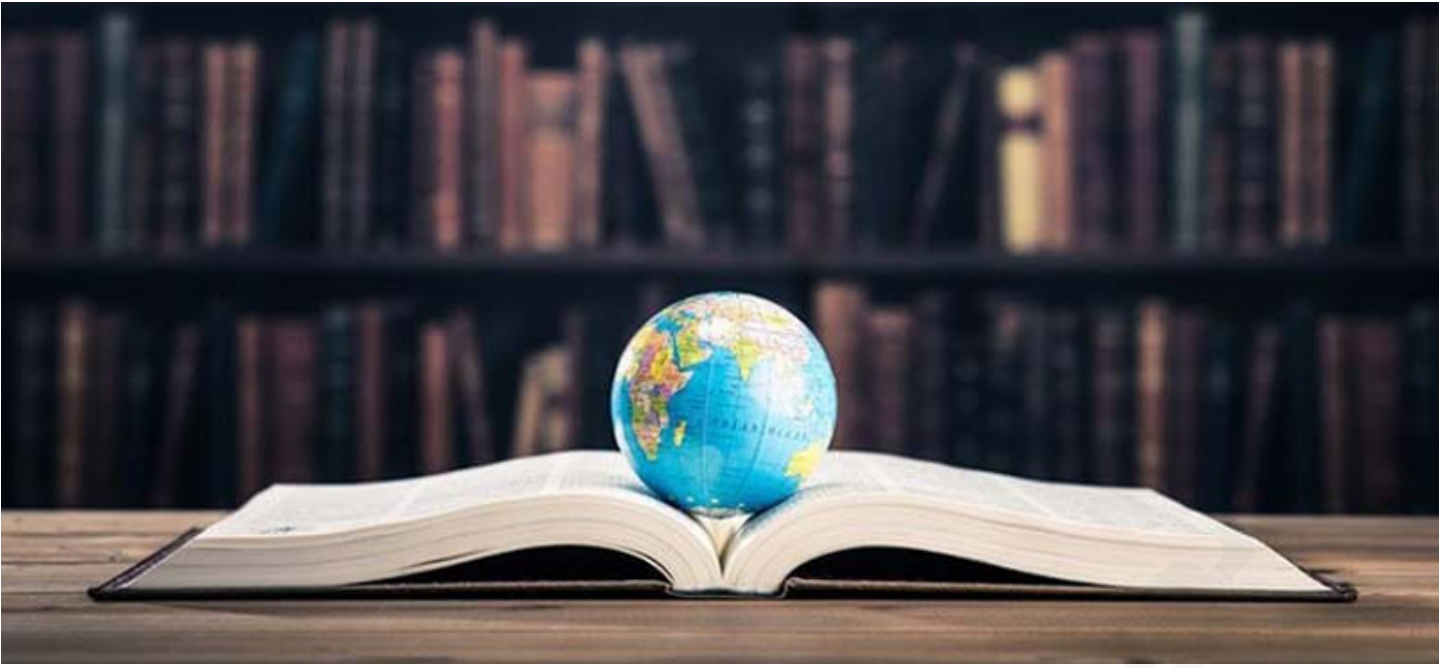




عَلِّمُوا وَتَعَلَّمُوا لِلَّهِ

(039) سورة الزمر

لقاء مع صفحة البيت الحمصي

2023-01-01

عمان

الأردن

الدكتور بلال نور الدين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علِّمنا، وزدنا علماً وعملاً مُتَقَبَّلاً يا رب العالمين، يا ربَّ أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، وبعد: فإني بادئ ذي بدء أشكر لإخوتي الكرام في إدارة البيت الحمصي هذه الدعوة الطيبة المباركة التي إن دلت على شيء فعلى حسن ظنهم بالعيد الفقير، وأسأل الله تعالى أن أكون عند حسن ظنهم، وقد تابعت بعض نشاطات هذا البيت المبارك الذي يجمع ثلة من أهلنا في سوريا الحبيبة فوجدت نشاطات، ومحاضرات، وأعمال خير وبر وإحسان يفخر المرء بها ويرفع رأسه عالياً، فجزاهم الله خير الجزاء.

الفرق بين علم الإنسان وعلم بقية المخلوقات:

أيها الإخوة الأحباب: العلم كلنا نحب أن نتعلم بل إن الإنسان في طبيعته بما أودع الله تعالى فيه من قوة إدراكية فإنه يسعى إلى العلم، نعم بقية المخلوقات تتعلم لكن تتعلم بغريزتها ما يفيدها في الوصول إلى متطلبات حياتها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ لِجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ لِّشَجَرٍ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68)

(سورة النحل)

هذا وحى الغريزة، فالنحل تقوم بعملية معقدة جداً في بناء خلاياها سواء من حيث شكل الخلية أو من حيث طريقة بنائها أو المادة المستخدمة في بنائها، وربما في بعض المهام التي تقوم بها تلك الحشرة الصغيرة تقوم بمهام ربما لا يستطيعها بهذه الدقة المتناهية كثير من الناس، فالله تعالى علم كل شيء خلقه ما يؤدي به إلى مهمته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ قَمْن رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)

(سورة طه)

أعطاه خلقه؛ أي خلقه على الصورة التي نهته لأداء مهمته، فالعين مثلاً خلقها الله تعالى في الحجر لحمايتها وجعل لها أهداباً، وجعل لها أجفاناً، وجعل لها سائلاً مرطباً وهو الدموع، وقرنية، وقزحية، فأعطاهم الذي يليق بها ثم هداها إلى طريقة الإبصار، والله تعالى خلق النبات فجعل الساق ينمو إلى الأعلى والجذر ينزل إلى الأسفل، فهذه هذه نوع من أنواع التعليم، والله تعالى الآية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِلَّهِ خُلُقٌ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)

(سورة الزمر)



الله تعالى علّم الكائنات كلها

تشمل كل المخلوقات، طيور تهاجر وتعود إلى مكان ولادتها ولو انحرفت عن مسارها قيد أنملة لجاءت في بلد آخر بعيد كل البعد عن موطن ولادتها لكنها تعود، سمك السلمون لا يموت إلا في موطن ولادته يهاجر ثم يعود؛ هذا كله تعليم، الله تعالى علّم الكائنات كلها ما يؤهلها لحياة تؤدي فيها مهمتها التي خلقها الله لها، لكن أفرد الإنسان بقوة إدراكية تجعله يتعلم أكثر كماً ونوعاً، ومملكه ذاته ليتعلم، ما معنى الأمانة لما قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)

(سورة الأحزاب)

ما هذه الأمانة التي حملها الإنسان؟ نفسه أن يديرها هو، الملائكة لم تحمل الأمانة فجعلها الله مسيرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ لِلَّهِ مَا أَمَرَهُمْ وَتَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)

الحيوانات لم تقبل حمل الأمانة فجعلها الله تعالى مُسَخَّرَةً للإنسان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّعْنَةُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5)

(سورة النحل)

نحن مخلوقون لله لكن الأنعام مخلوقة لنا، فكل الكائنات التي لم تقبل أن تدير نفسها فتأتي ما أحل الله وتنتهي عما حرم الله تأتي الخير الذي يقره شرع الله وتجتنب الشرور التي يجرمها شرع الله تعالى، كل الكائنات التي رفضت هذه المهمة هي غير مكلفة، غير محاسبة، غير معاقبة، لكن الإنسان وحده لما قِيلَ حمل الأمانة أعطى هذه القوة الإدراكية وتلك الفطرة وتلك المؤهلات من أجل أن يقوم لعمارة الأرض ويسعى فيها خيراً، لأن الملائكة لما تساءلت قالت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)

(سورة البقرة)

فقد توهموا أن الإنسان بالقوة الإدراكية التي وهبت له من قِبَل ربنا توهموا أن هذا سيجعله حراً في الحركة فسيسعى إلى الإفساد في الأرض، لكن الله تعالى قال: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

هذا الكائن كما أنه يمكن أن ينحرف بما أعطي من القدرات لكن في الوقت نفسه يمكن أن يرقى رقياً يجعله خير البرية، يعني خير ما برأ الله، فالمؤمن بعلمه، بعمله يغدو فوق الملائكة، لكنه إن ترك شرع ربه غداً دون الأنعام قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَصْلُ سَبِيلٍ (44)

(سورة الفرقان)

العلم عند الإنسان هو الإدراك:



العلم هو أن الإنسان يدرك ويربط

فليس من حل وسط في الإنسان، إما أن يرقى بعلمه فلا يصل إليه نظر يرقى ويرقى، وإما أن ينزل وينزل إلى القاع ويسقط في الوحل، هو بين خيارين لا ثالث لهما لأنه قيل حمل الأمانة، الأشياء كما تعلمون جميعاً هناك جماد، **الجماد: جسم له طول وعرض وارتفاع ووزن وحجم يشغل حيزاً من الفراغ؛** هذا تعريف الجماد، **النبات كالجماد تماماً لكنه يزيد بشيء واحد وهو أنه ينمو،** الجماد لا ينمو، لو تركت كاساً أو طاولة في مكان 100 عام ثم جئتها تتأثر بفعل الزمان لكنها لا تنمو، النبات ينمو، **الحيوان يزيد على النبات بالحركة** يتحرك، القطة تتحرك تنتقل من مكان إلى مكان، أما الإنسان الذي سُخِّرَ له كل هذه الكائنات فإنه قد أخذ من الجماد الطول والوزن والحجم والارتفاع وأنه يشغل حيزاً في الفراغ، وأخذ من النبات أنه ينمو، فتجد الإنسان قد كان طوله 100 وأصبح 120 و130 يصل إلى 170 وينمو جسمه... إلخ، وعرضاته كل شيء في جسمه فهو ينمو، وأخذ من الحيوانات بقية المخلوقات أنه يتحرك، لكن ما الذي بقي له؟ أنه يدرك، **العلم هو الإدراك** أنه يدرك، القرآن الكريم يعبر عن هذا الإدراك في القرآن بعشرات المصطلحات: (أفلا تتذكرون، أفلا تعقلون، أفلا يتدبرون القرآن، إن في ذلك لآيات لأولي النهى- الذين عندهم إدراك يجعلهم ينتهون عن الأشياء السيئة- إن في ذلك لآيات لأولي الألباب... إلخ) فالعلم هو أن الإنسان يدرك ويربط، يربط الأمور ببعضها فيستنتج، يحلل، يستنتج، عنده المعادن وعنده الحرارة وعنده مفهوم التمدد، لما عَرَّض المعدن للحرارة تمدد المعدن فخرج بقانون يقيني هذا القانون: (المعادن تتمدد بالحرارة) هذا علم، عقل، ربط، ما هو العقل؟ هو الربط، قال:

{ قال رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قال: **اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ** }

(أخرجه ابن حبان والترمذي عن عمرو بن أمية)

للناقة، يعقل الناقة أي يربطها، فالإنسان يمتلك هذه الخاصية أنه يربط، يستنتج، يستنبط، يتفكر، يحاكم، يتذكر؛ هذا هو العلم في حقيقته، لا أريد أن أدخل في مصطلحات الفلاسفة ومصطلحات بعض المفكرين أريد أن أدخل في اللب، **العلم هو هذا الإدراك؛** عملية الإدراك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)

(سورة الحج)

لا يعقل في قلبه، في داخله، واليوم هناك أبحاث ودراسات وعُرض ذلك في مؤتمرات علمية أن القلب هو مركز للعقل، أي كما أنه مضخة تصخ الدم للجسم فهو أيضاً يعقل العواطف والمشاعر، كما أن الدماغ فيه الخلايا التي تعقل المعلومات، على كل حال **فالعلم هو هذا الإدراك؛** إدراك الإنسان لمحيطه، إدراكه للعلاقات البينية بين الأشياء، استنتاجه للقوانين الناتجة عن ربط بين بعض المتغيرات.

محصلة العلم هو القانون:



القانون علاقة بين متغيرين مقطوع بصحتها

لذلك قالوا: **القانون علاقة بين متغيرين مقطوع بصحتها تطابق الواقعة عليها دليل**، علاقة بين متغيرين مقطوع بصحتها ليس في العلم اليقيني، العلم ليس نظريات ليس فيه 90% العلم 100%، يعني المعادن تتمدد بالحرارة علم، كل عنصر يتعرض لحرارة أو مصدر حراري سيتمدد، يتعرض لبرودة ينكمش، فالعلم يصل إلى القانون **محصلة العلم هو القانون**: علاقة مقطوع بصحتها بين متغيرين تطابق الواقع؛ لأنها لو لم تطابق الواقع لكانت جهلاً، لكان الجهل أولى منها، إذا الإنسان عنده معلومات ليس لها وجود على أرض الواقع فهي جهل ليست علماً، عليها الدليل لأنه لولا الدليل لقال من شاء ما شاء، فيمكن لإنسان أن يقول اليوم: أنا عندي معلومة علمية مهمة جداً مثلاً أو قال مثلاً: أنا أملك كل هذا البناء هو ملكي، هل عندك دليل على ذلك؟ لا؛ إذا هذا شك، تشك أو تتوهم أو تظن أو يغلب على ظنك لكنه ليس علماً، فالعلم يقين 100% لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعِذْ لَدُنْكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (19)

(سورة محمد)

ما قال: فقل: "لا إله إلا الله" لأن القول سهل لكن العلم يحتاج إلى تبحر وفهم وعمق حتى تصل إلى أنه لا إله إلا الله، فالذي يقول: "لا إله إلا الله" بلسانه ولا يعلمها يمكن أن يعصي الله، لكن الذي يقول: "لا إله إلا الله" من عمقه وهو يعلم أنه: "لا إله إلا الله" لذلك في الحديث الذي اشتهر على الألسنة:

{ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ تَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ تَائِيْمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ }

(أخرجه البخاري ومسلم عن أبي ذر الغفاري)

لكن لو جمعنا بين الأحاديث، الأحاديث الأخرى:

{ مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ }

(أخرجه مسلم عن عثمان بن عفان)

في رواية (غير شاك بها) يجب أن نجمع بين الأحاديث ما مفهوم التوحيد المنجّي عند الله؟ المنجّي نجاه كاملة، كل موحد يدخل الجنة لكن هل يدخل الجنة ابتداء أم بعد العلاج الإلهي، على كل حال هذا ليس موضوعنا لكن من باب (فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

ارتباط جميع العلوم بالخالق-جلّ جلاله:-



كثير من المسلمين أهملوا العلوم الكونية

الآن العلوم كلها مرتبطة بالخالق -جلّ جلاله- يوم قسّم العلماء العلوم إلى شرعية وكونية فهذا تقسيم مدرسي، لكن لا يُتوهم أن العلوم الكونية خارج الشرع، أو أن الشرع لم يأمر بالعلوم الكونية، أو أن العلوم الكونية ينبغي أن تمارس بمعزل عن الدين كما يمارسها الغرب، مشكلتنا في الشرق أننا ضعيفو الأخذ بالعلوم الكونية اليوم، في التاريخ نحن سباقون في العلوم الكونية يعني مثلاً اليوم تنسب قوانين الضوء إلى كبلر المتوفى 1040 هـ، لكن هي في الأصل لابن الهيثم المتوفى 432 هـ قبله بـ600 عام تقريباً، الدورة الدموية ينسبونها اليوم إلى هارفي الذي توفي 1068 هـ لابن النفيس العربي المسلم الذي توفي 687 هـ، نجهل أن مؤسس علم الجبر -وكلمة الجبر في الأصل كلمة عربية (Algebra) الذي هو الجبر- عربي هو الخوارزمي الذي توفي 232 هـ، فتخيل حتى علوم الفلك حتى العلوم الأخرى، فأحدث عن واقعنا اليوم الشرق، العرب، كثير من المسلمين أهملوا العلوم الكونية، الغرب اهتم بالعلوم الكونية لكن بمعزل عن الإيمان فالموقفان فيهما خطأ، لا شك أن خطاهم أكبر لأن فيه بعداً عن الإيمان، لكن لا يعني أن موقفنا في الإعراض عن العلوم الكونية والاهتمام بسير أغوار الكون وعمارة الأرض، والله تعالى من مقتضيات أو من مقاصد خلقنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِي تَوَدَّ آخَاهُمْ ضُلْحًا قَالَ يُقَوْمُ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا
إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (61)

(سورة هود)

أي لتعمروها فجعلنا خلفاء في الأرض لنعمر الأرض، فالشرق استغنى عن العلوم الكونية وفضل وقال: علوم شرعية وكونية والتقسيم مدرسي صحيح لكنه ليس من أجل الفصل بمعنى أن نهتم بالشرعية ونترك الكونية، والغرب أقبل في الكونية بعيداً عن الله تعالى فوقع في الشرك، فنحن بين إفراط وتفریط، على كل حال العلوم كلها -وهو عنوان محاضرتنا: علموا وتعلموا لله-، لأن الله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)

(سورة الأنعام)



العلوم الكونية ليست علوماً بعيدة عن شرع الله

فأنا عندما أتعلم الفيزياء أنا لا أتعلم علماً غير شرعي، وعندما أتعلم الكيمياء لا أتعلم علماً غير شرعي، نعم عندما أتعلم طريقة صناعة الخمر فأنا أتعلم علماً غير شرعي لأنه محرم، لكن عندما أتعلم علماً مباحاً أو علماً مأموراً به كفرض كفاية أو كفرض عين، فإذا كان هناك بلد لا يوجد فيها طبيب مختص بجراحة الأوعية الدموية فأصبح لزاماً على الأمة أن تتعلم مسلماً هذا الاختصاص، وإذا كان موجوداً لكن قليل فهو فرض كفاية لابد أن يقوم به البعض حتى يسقط عن الكل، وقد يكون مندوباً إذا كنت أعلم من نفسي أنني سأخدم المسلمين، وقد يكون مباحاً لكن العلوم الكونية ليست علوماً بعيدة عن شرع الله عز وجل - العلوم الكونية هي علوم شرعية لأنها وفق شرع الله، ما معنى شرعي؟ أقول: فلان دمشق هو منسوب إلى دمشق، فالعلم الشرعي منسوب إلى شرع الله، حسناً أنا عندما أتعلم الفيزياء لأخدم المسلمين ولأعمر الأرض بالخير، أليس هذا مأموراً به شرعاً؟ إذاً هو شرعي ليس مخالفاً لشرعة الله حتى أقول: هذا علم كوني لا علاقة له بالشرعة، هذا له علاقة بالشرعة كيف لا علاقة له بالشرعة؟! يوم قلنا: لا علاقة له بالشرعة إذاً أنا أمام طبيب ينتز مراجعته من أجل درهماً، أنا أمام مهندس يسرق من مواد البناء فيؤثر على دعائم البناء وربما ينهار البناء، أنا أمام محام يوهم موكله بأن القضية ناجحة 100% وهو في الحقيقة يعلم يقيناً أنها خاسرة لكنه يريد أن ينتز ماله، أنا أمام معلم يدخل إلى الصف بعد 10 دقائق ويخرج قبل 10 دقائق ويعطي ربع المنهاج ويأخذ راتبه وبمضي، فصل العلم عن الإيمان أو العلم الكوني عن العلم الشرعي مشكلة؛ مشكلة كبيرة.

أقسام العلوم عند الإمام الغزالي:

من أروع ما كتب في تقسيم العلوم ما قسمه الإمام الغزالي -رحمه الله- يوم قال: "العلوم: علم به، وعلم بأمره، وعلم بخلقه" كلها لله؛ به، بأمره، -جلّ جلاله-، بخلقه -جلّ جلاله-، فأنا عندما أتعلم الفلك هذا علم يخلق الله ما خرجت عن دائرة (مَخْتَأَى وَمَقَاتِلِي لِلَّهِ) أنا ضمن الدائرة لأن هذه العلوم يخلق الله وهو خلقها ولفظ نظري إلى أنني يجب أن أتعلمها، والدليل على ذلك أنه لفت نظري أن في القرآن أكثر من ألف آية تتحدث على الكون، لماذا؟ لتدلنا على الله؟! طبعاً لتدلنا على الله، لكن أليس فيها أيضاً حثٌ على التعلم يوم يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (20)

(سورة الذاريات)

هذه الآيات لمن؟ للمؤمنين، وأنا ينبغي أن أكون موقناً فينبغي أن أنظر في هذه الآيات، ولما يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (29)

(سورة الشورى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالسَّمَاسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِتَاءَ عِبَادُونَ (37)

(سورة فصلت)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (162)

(سورة البقرة)

هذه الفلك التي تجري في البحر ألا تحتاج إلى ريان وإلى كابتن للسفينة، وتحتاج إلى من يتعلم صنعائها، ومن يتعلم طريقة إدارتها، ومن يؤمن لها الوقود، ومن، ومن، ومن؟ الله يلفت نظرنا إليها، (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) إذا أُلست بحاجة إلى المهندس الزراعي حتى أستمثر الأرض، (وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) إذا أنا لست بحاجة إلى من يفهم في تصريف الرياح وبين ما يسمى النشرة الجوية اليوم مثلاً؟ (لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) إذاً كل الآيات الكونية في القرآن هي تدعو بطريقة أو أخرى إلى النظر في الكون للوصول إلى الخالق ولعمارة الأرض التي نحن مأمورون بها شرعاً، إذا تقسيم الإمام الغزالي-رحمه الله-قال: "علم به، بأمره، بخلقه" قال: العلم به وبأمره أصل صلاح الدين، والعلم بخلقه أصل صلاح الدنيا، حسناً والدنيا نحن مأمورون بإصلاحها؟ نعم، لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول:

{ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي،

وَأَجْعَلِ الْحَيَاةَ زَيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ }

(صحيح مسلم عن أبي هريرة)

إذاً نحن مأمورون بإصلاح ديننا كما أننا مأمورون بإصلاح ديننا وأُخرانا، فلما نقول العلم بخلقه أصل صلاح الدنيا فهو علم شرعي لأن إصلاح الدنيا مطلوب شرعاً، العلم به أن تعرفه، وقد قال ابن القيم -رحمه الله-: "أصل الدين معرفة الله".

الفرق بين العلم بالله والعلم بأمره:



العلم به أن تعرف الله الأمر

ما الفرق بين العلم به وبأمره؟ بأمره تقول: هذا حلال، هذا حرام، أقول لك: ما حكم بيع النجش، تقول: حرام، ما حكم بيع السلم؟ جائز بشرط، ما حكم شركة المضاربة؟ جائزة إذا كانت البضاعة حلال، الممارسة حلال، شركة المضاربة حلال، فأنت تتعلم الآن أحكاماً؛ أحكاماً شرعية تتصل بالدين بأن هناك حلالاً وحراماً منظومة، بأن هناك حلالاً وحراماً منظومة قيمة يختص بها المسلم، غير المسلم ما يقول لك: "والله هذا الربا حرام"، المسلم: "هذا ربا لا أخذه"، فعنده حلال وحرام هذا العلم بأمره، حسناً ما الفرق العلم به عن العلم بأمره؟ العلم به أن تعرف الله الأمر، الدليل اليوم إذا سألت مسلماً قلت له: الكذب حلال أم حرام يقول لك: حرام، إذا هو يعلم الأمر، العلم بأمره واضح، حسناً لماذا كذبت؟! "غلبتني نفسي، ما انتهت"، حسناً هل أنت تعلم من الذي حرم الكذب؟ "الله"، ما معلوماتك عنه -جل جلاله-؟ لماذا لم يعظم في قلبك إلى درجة خشيت أن تعصيه، هنا تأتي الآية الكريمة التي تفضل بها الفارئ الكريم وأشكره على ما تفضل به من قراءة نافعة معبرة جداً، سررت بها كثيراً مع الإخوة الكرام، قرأ:

وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ ۖ لَأَنفَعُ مُخْتَلِفُ أَلْوَنُهُ ۚ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يُخَشَى ٱللَّهُ مِنۢ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ (28)

(سورة فاطر)

إنما أداة قصر وحصر، فالعلماء يخشون الله، لكن إذا كان العلم بالأمر فقط، لا، إذا كان العلم بالخلق فقط، لا، لكن إذا اجتمع العلم به مع العلم بأمره وأضيف الآن مع العلم بخلقه؛ لأن المفترض في العالم أن يزداد خشية الله، يعني اليوم الذي يقع في وكالة فضاء ويراقب النجوم عن كثب ويرى حركتها ويعلم عن أحجامها وعن بُعدها عنا بمليارات السنوات الضوئية ألا ينبغي أن يكون أشد خشية لله ممن لا يعلم شيئاً في الفلك؟! الجواب الصحيح ينبغي أن يكون كذلك، معلوماته أكثر، خشيته أكثر، الآن قد يكون معترض وهذا حق له يقول: هناك من يقعون في وكالة ناسا للفضاء ما عندهم إيمان، ما عندهم قرار، ما عندهم قرار بالإيمان، كيف إذا كان عندك مصورة -كاميرا- الكاميرات القديمة تذكرون قبل الجوال كان يوجد فيلم كوداك وكوبيك كان يضع الفيلم ونحمله، فإذا كانت كاميرا بلا الفيلم وصورنا التقطنا صور، لكن هل لها أثر؟ بلا أثر لأنه لا يوجد فيلم، فالذي ينظر إلى الكون ولا يوصله الكون إلى الله عليه ما أدى إلى الخشية لأنه ما عنده في الأصل قرار بالإيمان، فالصورة تنطبع على الشبيكية دون أن تخرج إلى العقل إدراكاً بوجود خالق لهذا الكون ودون أن تنزل إلى القلب حباً للمعم -جل جلاله-، على كل حال فالعلم به وبأمره معاً من أجل الطاعة، لا بد أن يجتمعا، أنا أعلم أنه حرام وأعلم من الذي حُرِّم فالتزم، أعلم أن هذا الأمر لا يجوز وأعلم من الذي قال لي: لا تفعل، معاً فلا بد من الأمرين معاً، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13)

(سورة نوح)

أي عظمة، قال المفسرون: لا ترجون له هبة تمنعكم عن معصيته، كلما عظم الله تعالى في قلب العبد فإنه يزداد خشية من معصية الله تعالى؛ لأنه يعلم من الأمر، اليوم الواحد منا أحياناً الكرام؛ أنت اليوم وأنا إذا تلقيت أمراً من والدك يشبه إذا تلقيت طلباً من ابنك، هل تكون المبادرة نفسها في الحالتين؟ لا، تقول: أبي قال لي أفعَل وأنا لست مقتنعاً بالفعل -طبعاً الفعل جلال- أنا غير مقتنع بجدواه لكن أبي قال: لأن الأب عظيم جداً في نظري، ما تحب أن تسيء إلى علاقتك معه لمنتهى إجلالك له وحبك له، فتبادر إلى تنفيذ أمره، لكن لو صديقاً من أصدقائك طلب منك الطلب نفسه وأنت غير مقتنع تعتذر؛ لأن الصديق ليس له هذه الهبة في قلبك كما هي للأب، وليس له الحب نفسه أو الشعور بالفضل نفسه فتعتذر ربما، فكلما كان الأمر أعظم في داخلك تبادر إلى الأمر أكثر؛ هذا العلم به، لذلك قالوا: "لا تنتظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على ما اجترأت" المشكلة ليست في أننا فعلنا، يقول لك: و ماذا فعلنا، هي نظرة؟ لا، المشكلة أنك عصيت الله، عصيت الذي خلقك، والذي رزقك، والذي أعطاك، والذي وهبك نعمة الإيجاد والإمداد والهدى والرشاد، هنا المشكلة؛ مشكلة فيمن خالف أمره لا في الأمر نفسه، لذلك لما الإنسان يخالف الأمر ويعود إلى الله تعالى فوراً الله يغفر الذنب؛ لأنه يعلم أن له رباً يغفر الذنب، لكن لما يستمرئ المعصية ويبالغ فيها هنا لا تدركه توبة الله تعالى لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول:

{ إِنَّ ٱلْمُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ فَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ ٱلْعَاجِزَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَّرَّ عَلَىٰ أَفْئَةٍ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو

شِهَابٍ: بِيَدِهِ قَوْقُ أَفْئَةٍ }

(أخرجه البخاري، ومسلم باختلاف يسير عن عبد الله بن مسعود)

أي مزعوجاً منه، لماذا؟ لعظم أمر الله في داخله، (وإن العاجز يرى ذنوبه كذباب مر على أفئة فقال به هكذا) فطار، ماذا صنعنا مثل ذبابة هكذا ومررت على أفئته، فهذا العلم به مع العلم بأمره يصيحان ديننا، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يدعو أولاً لإصلاح الدين (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي)، والعلم بخلقه هو أصل صلاح ديننا الذي أمرنا به أيضاً، فتحن نصلح ديننا بالأحكام الشرعية ومعرفة الله تعالى، معرفة الله يعني بمجاهدة: قيام الليل، الصحة الصالحة، مجالس العلم، النوافل، الالتزام بالفرائض، متابعة النفس وهفواتها، تنقية النفس، تهذيبها، تركبتها هذا كله من العلم به، أن تضبط علاقتك مع الله كلما كثرت من النوافل، قيام الليل؛ هذا كله من العلم، هذا علم، الدليل أنه علم أن الله تعالى يقول:

بِسْمِ ٱللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
أَمَّنْ هُوَ قُتِبَ ٱلْعَاقِبَةُ ۖ لَئِذَا سَآجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ رَحْمَةً ۖ رَبِّهِ ۚ فُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَٰعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَٰعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلَآءِ ٱلْءَلْبَ (9)

(سورة الزمر)

فإذاً هذا القانت أناء الليل، الساجد، القائم، الخائف، الراجي؛ هذا عالم بنص الآية، فإذاً هذا العلم به علم مفقود في العالم الإسلامي، مفقود أكاديمياً أي لا يُدرّس لكن أحياناً يوضع له مادة التزكية يسمونها أو مادة الأخلاق أو كذا، لكن هو علم متكامل ينبغي أن يعتني به الإنسان، هو علاقة الإنسان بالله تعالى علاقته بالله، العلم بأمره من أجل أن تعرف الحلال والحرام فإذا تصافر العلم به مع العلم بأمره معاً نتج صلاح الدين، حسناً وصلاح الدنيا؟ العلم بخلقه.

حكم العلم بخلقه:

الآن العلم بخلقه مادام علماً مباحاً ففتناويه الأحكام الخمسة، قد يكون واجباً وجوباً عينياً أو كفائياً، قد يكون مندوباً مستنوباً كما قلنا بحسب حالة الأمة التي هي فيها، ونحن اليوم المسلمون بحاجة كبيرة وماسة إلى العلم بخلقه لنعمر الأرض، ولأننا اليوم في وضع استثنائي، الناس عموماً ينظرون إلى العالم نظرة إجلال وتقدير ويحترمون مذهبهم ولو كان فاسداً لمجرد علمه، طبعاً هذا خطأ لكن هو واقع الناس لا نستطيع أن ننكر اليوم أن القوي يفرض ثقافته ويفرض هويته على الناس، فنحن اليوم إذا أردنا أن نقنع الآخر بديننا فينبغي أن نخرج علماء في الخلق ملتزمين بصلاح الدين أيضاً لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قال:

{ **المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيفِ وفي كلِّ خيرٍ** }

(أخرجه مسلم عن أبي هريرة)



العلم أقوى من المال

القوة هنا قد تكون في المال أي تاجراً، لكن تاجر محترف جمع مالا أقوى نفسه به، الجاه قوة، العلم أقوى قوة، العلم أقوى من المال، لذلك يقول سيدنا علي رضي الله عنه: "مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة"، قال: "العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال" فأيهما أفضل الذي يحرسك أم الذي تحرسه؟! فإذا نحن العلم يحرسنا، العلم حتى علم الدنيا، قلت في البداية وأكرر: نحن لسنا مع التقسيمات التي تجعل العلوم الكونية في وإٍ الشرعية في وإٍ، نحن كل علومنا علوم شرعية، ندرس الفيزياء علوم شرعية، مثلاً الفيزياء ماذا تدرس؟ القوانين التي تحكم المادة كالجاذبية، الحركة، هذه الجاذبية بين ماذا وماذا؟ بين خلق الله، ربنا ذكر الجاذبية بالقرآن، ألم يقل تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَأَلْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْأَنْهَارِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ لِلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (65)

(سورة الحج)

هذه الجاذبية، ألم يقل تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرُودَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أُمْسِكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفًا عَفُورًا (41)

(سورة فاطر)



الفيزياء علم يخلق الله

الزوال هنا هو الانحراف: أن تزول عن مسارها، كيف لا تزول عن مسارها؟ الشمس جاذبيتها للأرض عندما تصل إلى القطر الأصغر بين الشمس والأرض إن زادت سرعتها تنفلت من المسار لأنه صارت المسافة قليلة بين قطر أصغر وأعظمي المسار بيضوي، فتبطئ سرعتها في القطر الأعظم تسرع أكثر حتى تبقى منجذبة ففي الحالتين لا تخرج عن مسارها (إِنَّ لِلَّهِ بِمُحْسَبِكُمْ لِسْمُوتٍ وَالْأَرْضُ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ) هذا قانون الجاذبية بكلمات معدودة، فهذه دعوة، فالفيزياء علم يخلق الله الذي يدرس الفيزياء هو في خلق الله يدرس، علم الأحياء ما هو؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)

(سورة الذاريات)

لما يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (6)

(سورة الطارق)

هذا علم الأحياء هو دعوة أن تدرس علم الأحياء، أعطاك رأس الموضوع، القرآن ليس كتاب علوم تفصيلي لكن هو كتاب هداية ومن الهداية أن يهديك إلى أن تبصر ما في نفسك من آيات، علم الفلك ما الذي يدرسه؟ الكواكب والنجوم، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَا أُفْسِدُ بِمَوْجِعٍ لِّلنَّجُومِ (75) إِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْدِهِ عَظِيمٌ (76)

(سورة الواقعة)

إذاً اعلموا أن هذا القسم عظيم بدراسة علم الفلك، فكل ما في الكون من علوم هي في الحقيقة دراسة لمخلوقات الله التي أمرنا شرعاً أن نتفكر فيها فنحن مأمورون تبعاً أن ندرسها حتى يكون التفكير أعمق وأعمق لأن الله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُتْرِبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي ۖ لَءَاقَافٍ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ۖ لَحَقُوا أَوْ لَمْ يَكْفِ يَرْبُّكَ اللَّهُ ۖ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)

(سورة فصلت)

(سُتْرِبِهِمْ) إذاً هناك أشياء لم تكتشف في عهد النبي-صلى الله عليه وسلم-ولا ما بعده ولكن سنراها نحن، لماذا يكون الغرب سباقاً إليها فيأتي هو بالمعلومة ثم نحن؟! الحمد لله نستفيد منها ربما وبعض الناس، ومثلاً هناك بعض الصور داخل التقطت في الوكالات العالمية خضع جلدنا وأخذنا منها فائدة عظيمة جداً وهذا لا مانع منه بل على العكس تماماً، نحن نقول ما قاله أحد النقاد: "ثقافة أي أمة ليست حكراً على شعب من الشعوب وإنما هي ثقافة البشرية بأكملها، ونحن لا نقاطع ثقافات الشعوب"، يقول: "هل يعقل إذا لسعنتنا نحلة أن نقاطع عسلها"، ثم يقول: أنا أفتح نافذة غرفتي لاستنشيق الهواء النقي و لكنني لا أسمح للرياح العاتية أن تقتلعني من جذوري"، فأنا ما عندي مشكلة أن آخذ من الآخر ما عنده من خير ومن فضل وأن أتابع فيه، لكن الأفضل والأحسن أكون مشاركاً في الأمر، أكون مشاركاً أو أكون مبادراً لأن ديني يأمرني بذلك، فأول ما نزل من القرآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُرْأَ ۖ بِسْمِ رَبِّكَ ۖ الَّذِي خَلَقَ (1)

(سورة العلق)

فهي دعوة إلى العلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4)

(سورة العلق)

علم، القلم يعلم الأجيال، ينقل الثقافة من جيل إلى جيل بالقلم، وبالترجمة من أمة إلى أمة، من لغة إلى لغة، فالقلم علم.

التعلم والتعليم:



كل ما نتعلمه ونعلمه لله

الذي أردت قوله في هذه المحاضرة الكريمة بصحتكم الطيبة التي سعدت بها أيما سعادة أن كل ما نتعلمه لله، وكل ما نعلمه لله، إن علمنا القرآن وعلمناه فهو لله إن شاء الله -النية-، وإن تعلمنا الفيزياء وعلمناها فهي لله، وإن تعلمنا أحكام البيوع وعلمناها فهي لله، وإن تعلمنا أحكام الحج وعلمناها فهي لله، وإن تعلمنا أحكام الطهارة في اليوم من المغالطات العجيبة في الموضوع التعلم والعلم أنك تكتب في موضوع مثلاً عن الطهارة، طهارة النساء أو الرجال بعض أحكام الطهارة فيأتي إليك أحدهم ويقول لك: "الناس وصلوا إلى المريخ وأنتم مازلتُم بأحكام الطهارة"، نعم هذا علم وهذا علم، أحكام الطهارة علم والوصول للمريخ علم، لكن أحكام الطهارة لا نستغني عنها لأنها دين نلقى الله تعالى به بغض النظر عن بعض الممارسات الخاطئة أحياناً والتعقيدات والتفصيلات غير الصحيحة، لكن بالعموم هذه الأحكام نتعلمها فلا تقارن، أو مثلاً وضعوا مرة صورة لأشخاص يتعلمون دفن الأموات في بلد عربي ووضعوا صورة في جامعة عالمية يتعلمون، فقالوا: انظر أين هم وأين نحن؟! لا، لا يوجد مقارنة في الموضوع، هم الآن عندهم درس في التكنولوجيا، وجامعاتنا موجودة هذا الشيء ولله الحمد وإن كان ليس علي مستواهم، نسأل الله أن يبصرنا أكثر لكن لا يعني أن نتخلّى عن أحكام الدفن لأنهم سيموتون وسنموت وبجاجة أن ندفن موتانا كما أمر الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، فأحياناً تكون المقارنة مع الفارق غير صحيحة أبداً، كأن يقول الإنسان مثلاً: أخي السيارة السياحية أحسن من الشاحنة، لماذا السيارة السياحية أحسن من الشاحنة؟ السيارة السياحية تتسع لـ 5 ركاب، الشاحنة فقط راكبين، لكن الشاحنة تتسع لأغراض بالخلف هي معدة لشيء آخر، فلا يوجد أحسن بينهما، هناك كل واحدة لها مهمتها، فالعلوم كلها لله، إذا تعلمنا أحكام الطهارة نتعلم لله، الدين يبدأ من العلاقات الزوجية الخاصة وينتهي بالعلاقات الدولية، فأنا ما عندي علم بالله وعلم بغير الله، أنتم مختصون بالأحكام الطهارة، لا هذا علم نتعلمه لله ولا نستغني عنه أبداً لأنه أصل ديننا وصلاح ديننا، وبالمقابل نحن مأمورون بإصلاح ديننا فلنستغني لهذا ونسعى لذلك معاً في خطوط متوازية.

هذا ما فتح الله تعالى به، أسأل الله تعالى أن يكون فيه النفع والفائدة لي ولكم وأن يجزيكم خير الجزاء لهذه الاستضافة الكريمة، فإن وجدتم فيما تكلمت به خيراً فله الحمد والفصل والمنة، وإن وجدتم غير ذلك فحسبكم الله ونعم الوكيل، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المداخلة 1:

السلام عليكم، لا بد من الشكر الكبير للضيف الكريم فضيلة الشيخ الذي أتحفنا، وأركز وأضيء على نقطة كبيرة أساسية جداً أنه ركّز على أهمية العلم الشرعي الذي هو أساس العلم الدنيوي وهذا أمر مهم جداً لو التزمنا به لكننا بألف خير، ولعدنا إلى الذروة الذهبية لحضارتنا الإسلامية، للأسف كنا في واقعنا نرى أشياء تتعلق بدراسة الدين والفقه، الطالب الذي يتال العلامات الأدنى والطالب الفاشل في المدرسة وكذا وكذا كله أرميه إلى دراسات إسلامية، والمتفوق هذا يتخصص في أمريكا وفرنسا وفي بلدان العالم وللأسف، نحن أمة يجب أن نولي الأهمية في التعليم الديني للمتفوقين المبرزين من أبنائنا وإذا عدنا إلى هذا الأمر -إن شاء الله- سنعود إلى مصاف الحضارات المتقدمة، أنا أشكر لفضيلة الشيخ ما تفضل به لكنني دخلت معه في عدة مواضيع -ما شاء الله- لغزارة العلم فتوسع كثيراً، أنا تابعت معه لكن أحياناً معي أحد المتابعين هنا قال: خرج قليلاً عن هذه النقطة، فتح الله عليك بهذه الساعة إن شاء الله فضيلة الشيخ، وأشكر البيت الحمصي هذا النشاط الدائم، وهذه الدعوة إن شاء الله في ميزان حسناتكم، بوركتكم.

الدكتور بلال نور الدين:

بارك الله بكم دكتور، شكر الله لكم ولأخيكم دكتور.

المداخلة 2:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور بلال نور الدين:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

المداخلة 2:

جزى الله الشيخ الفاضل على هذه المحاضرة الرائعة الجيدة، وقد أشيع الموضوع بشكل جيد والحمد لله وجزاه الله خيراً، وليس لي أنا و لست ممن يستطيع أن يناقش مثل هذه الأمور، ولكن الذي أعرفه أن المسلمين من أول يوم جاء الإسلام لم يتركوا العلم لا الدنيوي ولا الديني الشرعي كما يقال، فلاحظ أن الرياضيات بدأت في القرن الهجري الأول و مثلها باقي علوم، ولاحظ أن أكثر علمائنا مشهورون، بعضهم مشهور بالفلسفة وبعضهم مشهور بالتفسير ولكن عندما تقرأ حياته تجده ملماً حتى بالعلوم؛ بالطب أو بالرياضيات أو بالفيزياء وغيرها من العلوم، وعندما تسمع عن عالم فيزياء عندما تدرس حياته وعلومه تجده يعرف يتكلم بكل أنواع العلوم أيضاً، وكتب فيها، وتكلم فيها، وهذا يدل على أن هؤلاء كانوا يأخذون العلم للعلم حتى أن أحدهم قال: "طلبتنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله"، و جزى الله علمائنا السابقين والحاليين خيراً على ما قدموا ويقدمون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الدكتور بلال نور الدين:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

المداخلة 3:

السلام عليكم، شكراً للبيت الحمصي الذي يجمعنا في هذه المظلة الرائعة وتحية للشيخ الدكتور على هذه الإحاطة الجميلة والرائعة أيضاً.

الحقيقة نحن اليوم حتى تعقيب على دكتور أستاذ حسن فرحات مثلاً، وحتى حديث الأستاذ وكذلك وحديثنا وأحاديث كثيرة تدور حول أننا أول وأول من فعل، وقال وكذا... إلخ، حسناً أين نحن الآن من هذه الأول؟ هنا السؤال المهم جداً الذي يجب أن نشغل عليه، مثلاً أنا بالنسبة للغة العربية -وهنا معنا قامات ما شاء الله- كيف تجعل من اللغة العربية أن تتحول رقمياً بتعليمها وتعلمها لكي تتسجم مع العصر الحديث ومع الأجيال التي ستأتي؟ لأن الأجيال التي ستأتي ستلتن من لم يشتغل على اللغة العربية، للأسف الشديد الفكرة الرئيسية ما تفضل به سماحة الشيخ الدكتور رائع جداً ومهم فعلاً، للطهارة علمها و لكل شيء علمه ولكل شيء مكانه، ألم تكن الطهارات والتجاسات في أيام العباسيين، أيام الخواريزمي وغيره، العلماء الكبار الذين كانوا وأسسوا للعلوم؟! كانت هذه أيضاً تُدرس ولكن إعلامنا المعروض هو الذي يفعل ما يفعل بامتنا، ونحن الإعلام لدينا للأسف الشديد الإعلام لا يشتغل على مسألة المستقبل وإنما يشتغل على الماضي فقط، وليس حتى على الماضي الجميل الذي ذكره الدكتور أيضاً، للأسف هناك إحباط للأمة؛ إحباط كبير جداً ويجب أن تنهض لأنها تملك دستوراً رائعاً جداً في كل شيء في الحياة في صغيرها وكبيرها، تمتلك هذه اللغة التي تدخل في كل خلية من الكون؛ لها تسميتها واسمها ومسماهها وتعبوها وقالوا، وإذا أردنا أن نستعرض المعاجم التي 12,000,000 كلمة باللغة العربية ونحن اليوم لا نستطيع أن ندرس بها العلوم معقول؟! في حين كانت تُدرس باللغة العربية تُدرس بها العلوم الأخرى أيام النهضة الزاهرة أيام المأمون، فإذا ما هي الأسباب ولماذا النكوص؟ ولماذا لا نستطيع أن نجعل أو نبتكر اليوم، كما تعلمون غوغل هو الذي يتحكم بنا، إذا ذهب غوغل أين الغوغل العربي؟ ليس هناك اتحاد، ليس هناك اتفاق، طبعاً هناك جهود مشكورة من الجامعة العلمية مثلاً للشارقة أصدرت والدوحة أيضاً تصدر المعجم المشهور التاريخ وغيره هكذا، ولكن أين الأجيال من ذلك؟! اليوم نحن في هذه المحاضرة تمنح محاضرات مقبلة مثلاً التي نتحدث عن مستقبل الأمة وعن مستقبل الأجيال، ممكن أن نستضيف شياً في البيت الحمصي أو حتى في ندوات أخرى لكي نعرف ماذا يريدون، نحن نعرف ماذا يريدون لكن اليد قصيرة، على كل حال شكراً جزيلاً لكم على هذه الدعوة الكريمة وإن شاء الله تتمنى أن نلتقيكم، تحياتي السلام عليكم.

المداخلة 4:

حياكم الله، شكراً جزيلاً، أريد أن أشكركم جزيل الشكر وأشكر الدكتور المحاضر على المحاضرة القيمة التي تبخر فيها بشكل كافي ووافي، وأحب أن أضيف إضافة بسيطة لو سمحتم، وليست بمعنى إضافة وإنما من باب المداخلة البسيطة، فالعلم كما تفضل الدكتور المحاضر هو معرفة الشيء على حقيقته، وقد أولى الإسلام مكانة للعلم مميزة جداً، مكانة كبيرة وأعطاه منزلة عالية فابتدأ الوحي بالأمر بالقراءة والقسم بالقلم والكتابة، وحض على طلب العلم حتى جعله فرصة على كل مسلم، ورفع من شأنه حتى جعله معياراً للتفاضل بين البشر، وأرسى أسس التفكير والنقاش العلمي المعتمد على الدليل والبرهان، وحارب الأوهام القائمة على الظن والتقليد الأعمى دون دليل، كما حصّن الإنسان على استخدام عقله في التفكير والملاحظة والتعلم لاكتشاف نواميس وأسرار الكون، وتسخيرها لخدمته، وللوصول من خلالها إلى معرفة الخالق وإخلاص العبودية له وحده، والتحرر من عبادة ما سواه، ومن الآيات الكريمة التي تؤيد هذا القول ما ورد في سورة النمل، قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمَّنْ يَنْدُوْا ۖ لَخُلِقُوْا ثُمَّ يُعِيْدُهُ ۖ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ ۖ وَالْأَرْضِ ۚ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌ هَٰئِلُوْنَ نُزْهَتِكُمْ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ (64)

(سورة النمل)

ومما يدل على المكانة الكبرى التي أعطاها الإسلام للعلم أن الله تعالى امتدح الذين أوتوا العلم، والراسخون في العلم، وأولو العلم، والذين يعلمون في 29 آية، وإلى جانب طبعاً الأحاديث النبوية التي تؤكد على فضل العلم والعلماء وتحض على طلب العلم، وشكراً جزيلاً، وحياكم الله، وجزاكم خيراً.

المداخلة 5:

السلام عليكم ورحمة الله، الله يجزيك الخير يا دكتور على هذه المحاضرة، مع أن وقت المحاضرة يمكن لا يكفيها ساعة ولا ساعتين والموضوع طويل متشعب وفقرات متعددة لكن -ما شاء الله، تبارك الله- أنت أوجزت وفصّلت بنفس الوقت، جزاك الله عنا كل خير إن شاء الله يا دكتور.

الدكتور بلال نور الدين:

الله يحفظكم ويبارك فيكم.

المداخلة 5:

حيّاك الله، أنا لفت لي نظري موضوع القلب والعقل، ذكرت أنه يوجد إثباتات علمية تقول بأن القلب هو مركز للإحساس، أيقنوا هذا الشيء إنهم لمسوه، نحن موجود عندنا بالقرآن الكريم إنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۚ أَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَفْعَالُهَا (24)

(سورة محمد)

أو هناك آيات بهذا المعنى، لو تفضلت إذا بإمكانك تتوسع لنا بهذا الموضوع لدقائق لو سمحت لنفهم أكثر.

الدكتور بلال نور الدين:



المقصود بالقلب أي يعقل في قلبه أي داخله

حيّاكم الله يا سيدي، ربما يكون في المجلس أطباء أعلم مني، لكن أتكلّم أنا فقط من معلوماتي الموثوقة -إن شاء الله- المصادر الموثوقة، سابقاً كان العلماء عندما يتحدثون عن العقل في القلب يقولون: القلب المذكور في القرآن هنا ليس قلب المضخة، هذه المضخة التي تصخ الدم إلى أنحاء الجسم وإنما هو قلب النفس أي الداخل، مثلما نقول: قلب الجوزة أي داخلها، فيكون هذا المقصود بالقلب أي يعقل في قلبه أي في داخله، ودرجوا على ذلك بأن المضخة شيء وكذا...، وإن كان الآية تقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ۖ أَوْ ٱدَّأٰنَ يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ۚ لَٱبْصُرَ وَلَكِن تَعْمَى ۚ لَقُلُوبٌ ۚ لَّيِّنَىٰ فِي ٱلضُّدُورِ (46)

(سورة الحج)

وكأنها إشارة إلى أن هذا القلب المضخة.

{ ...ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضَغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ. }

(أخرجه البخاري، ومسلم عن النعمان بن بشير)

سماها مضغة والقلب مضغة، فأنا حضرت حقيقة بعض الأبحاث العلمية، وحضرت برنامجاً على الجزيرة الوثائقية من سنوات، قالوا فيه: إنه بعد إجراء- حتى قبل سنوات كان في السبعين في بداية عمليات زراعة القلب- أنهم وجدوا طواهر محيرة جعلتهم يقولون: إن هناك ذاكرة للخلية وإن مركز العقل هو القلب، وهذا الأمر ناتج من عدة تجارب، منها مما أذكره من الطرائف فيها أن شخصاً زرع له قلب رجل آخر توفي، فجعل يقول كلمة يرددها لا يفقه معناها لكن جعل يرددها من غير شعور منه، ثم لما عادوا إلى زوجة المتوفى الذي نُقل قلبه أخبرتهم أن هذه الكلمة هي الشيفرة بينها وبين زوجها التي تعني عن المحبة والمودة أمام الأولاد من غير أن يشعروا بما بين الزوجين، كانت محفوظة إذا في القلب، ومن الأمور الغريبة جداً جداً أن طفلة نُقل إليها قلب طفلة أخرى قُتلت قتلاً، وأخذ قلبها وتبرع به عندهم ثقافة التبرع كبيرة، فقالوا في هذا البرنامج في الجزيرة الوثائقية إنه تم اكتشاف جريمة عن طريق نقل القلب بأنه أصبح يأتيها في الليل كوابيس بهذا القاتل الذي جاء، ولما عرضوا عليها الصور التي عندهم أشارت إلى من يأتيها في المنام، فصورته المرعبة خُفظت بشكل في القلب إذا وليس في الدماغ، و نقلوا قصصاً كثيرة يومها وتحدثوا عن ما يسمى ذاكرة الخلية، و وقتها -سبحان الله- جاء في بالي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي بَرٍّ وَأَرْحَمَ لَكُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24)

(سورة النور)

فكان الأعمال تسجل حتى أصبحوا يقولون حتى الخلايا الأخرى فيها ذواكر تسجل الأعمال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا لَخُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21)

(سورة فصلت)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِجُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (29)

(سورة الجاثية)

أي تأخذ نسخة، فسبحان الله الأمر هو في بداياته كما أعلم، و من أيام قليلة فقط عرضته، تكلمت بهذا الأمر استشير به في طبيب حتى ما أتكلم بغير علم، فقال لي: نعم اليوم عمليات زراعة القلب كشفت وجود أشياء محيرة جداً، واليوم يقال: إن ما في القلب من ذواكر خلايا عصبية تحيط القلب تحفظ المشاعر أكثر مما في الدماغ، لكن كلها حتى الآن أبحاث و أمور تُدرس، ولعل القادم يوضح أكثر وأكثر عن هذه الحقيقة، والقرآن ذكر أن العقل في مركز القلب ولم يذكر أبداً العقل في الدماغ أو في مكان آخر، كل العقل ذكره في القلب و الله تعالى حفظه.

المداخلة 5:

سبحان الله العظيم، لعل هذا الموضوع مدخل جديد من الإعجاز العلمي الذي يُكتشف كل فترة ويؤكد على -ما شاء الله- عظمة الخالق -سبحانه وتعالى- الله يبارك ما شاء الله، الله يعزك إن شاء الله، جزاك الله خيراً يا سيدي.

الدكتور بلال نور الدين:

وإياكم.

المداخلة 6:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أول شيء أشكر الدكتور على هذه اللوحة الغنية الفاصلة التي تكلم بها عن أهمية العلم، حقيقة أنذكر قول الله سبحانه وتعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ نَشْرُوا وَنُزِعْ لَكُمْ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)

(سورة المجادلة)

فلا بد للإنسان العالم أن يرتبط بالإيمان حتى تكون هذه الدرجات، وكم نرى في حياتنا بالنسبة لاختصاصات العلوم الكونية كما تفضل بها الدكتور أن هناك العجب العجيب من لا يفقههم علمهم الغزير والهائل إلى أن يكونوا مؤمنين، هل هم على قلوب أقيالها كما ذكر بمثل الآية أم أن هناك مانعاً آخر يمنعهم؟ الحقيقة بالنسبة لما أريد أن أتكلّم به أيضاً نقطة أخرى أتذكر أن هناك رابطاً هاماً بين العلم والهداية، كما أن هناك رابطاً بين العلم والإيمان فأيضاً العلم والهداية، أو أن كما أريد أن أوضح بشكل آخر أن الهداية؛ قال بعض العلماء أن الهدى من الله سبحانه وتعالى هو هديان: فأما الهدى الأول هو الهدى الدلالة الذي يتفضل برحمته وفضله الله سبحانه وتعالى على جميع خلقه بهذا الهدى، والدليل في الآية الكريمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا تُمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صِعَقَةٌ مُعَذِّبَةٌ لَّهُمْ يَمَ كَانُوا يَكْسِبُونَ (17)

(سورة فصلت)

فهؤلاء استحبوا العمى على الهدى لم ينطلقوا في الهدى الثاني وهو هدى الإعانة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)

(سورة القصص)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52)

(سورة الشورى)

ونحن أيضاً نقول كلما نقرأ سورة الفاتحة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَذَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ (6)

(سورة الفاتحة)

أي إهدنا الهدى أو هدى الإعانة الذي نمشي به بالصراط المستقيم في الدنيا ويكون صراطاً مستقيماً في الآخرة ويكون هناك -إن شاء الله- إلى الجنة، النقطة التي أريد أن أشاركها أيضاً هي القلب والعقل، النظريات العلمية؛ الحقيقة نحن عندما درسنا تشريح القلب كان هناك حزم عصبية تتحكم في حركة القلب وأيضاً هناك خلايا عصبية اكتشفت بشكل مؤخر آلاف الخلايا العصبية التي قال العلماء أن لها ارتباطاً بالدماغ، وطبعاً الدماغ هو المركز العصبي لكل الخلايا والمسارات العصبية في الجسم، ولكن هناك ارتباط خاص بين هذه الخلايا الموجودة في القلب، ارتباطها مع الدماغ معنى ذلك أن العقل أو التعقل لا يكون فقط في الدماغ وإنما يكون بالقلب بل قد يكون بالقلب أكثر، النقطة التي أريد أن أسأل بها الدكتور الفاضل ببداية المحاضرة يقول الدكتور: أن العلم يجب أن يكون 100% ، الاستيضاح أنا أحب أن أستوضح بالنسبة للعلوم الشرعية القرآن الكريم جاء بالعلم 100% ، حتى العلوم الشرعية اختلف بها العلماء واختلف بها الأئمة الأربعة لتكون تيسيراً وتفصيلاً من الله - سبحانه وتعالى- بهذا التيسير، أي لا يمكن للإنسان أن يقدم علماً 100% في العلوم حتى الشرعية، أما بالنسبة للعلوم الكونية فمن باب أولى، فهناك النظريات التي تأتي أو تكون عنوانها مقدمات ولا تؤدي إلى نتائج ويمكن مع الزمن أن تؤدي إلى نتائج ويمكن أن لا تؤدي و نسميها نظريات علمية؛ هذا ما أردت أن أشارك به ولا أريد أن أطيل عليكم، بارك الله بكم، وجزاكم الله كل خير وفضل إن شاء الله تعالى.

المداخله 7:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مساكم الله بالخير حياكم الله، الله يجزيكم الخير ويجزي الدكتور بلال جزاءً وافراً وكثيراً على ما قدمه في هذه المحاضرة- ما شاء الله- الدكتور بداية الفى المحاضرة مرتجلة فهذا مما يدل على تمكنه -وما شاء الله عليه- الله يحفظه ويريده علما، طبعاً عندي بعض الاقتباسات من الآيات القرآنية التي تتحدث عن العلم مثلاً في قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(32)

(سورة البقرة)

لا علم لنا إلا ما علمنا الله تعالى، العلماء هم أهل الخشية لله سبحانه (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)، المؤمن دائماً يطلب زيادة العلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ(116)

(سورة المؤمنون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً(114)

(سورة طه)

في الآية الرابعة التي حَضَرْتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي أَنْفُسِهِمْ يَقُوبَ قَضَلَهَا وَإِنَّهُ لَكُلُّ عِلْمٍ لَمَّا عَلَّمْتَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(68)

(سورة يوسف)

إذاً العلم خصوصية من الله ورفعة، العلم عميل وخشية ولا يستوي أهل للعلم وغيرهم (أَمَّنْ هُوَ فَيْتْ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ لِيءَ إِجْرَةٍ وَتَرْجُوَ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا نَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ لَئِيْلَآلِئِبْ)، أختم بهذه الآية: (تَزَقُّعُ اللَّهِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ ءَاوُوا إِلَيْكُمْ تَرْجَبُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)، العلم رفعة ودرجات، الله يجزيكم الخير ويبارك فيكم وينفع بكم، والله يجزي خيراً الدكتور بلال للمرة الثانية، وإن شاء الله نستفيد من لقاءاته ومحاضراته والشكر موصول لإدارة البيت الحمصي على اختيارها لهذا الأستاذ الفاضل.

المقدم:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أحبيكم بتحية الإسلام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أشكر الدكتور بلال نور الدين على تليته دعوة البيت الحمصي وعلى محاضراته الكريمة، هذه المحاضرة التي جمع بها عناوين حقيقة: عنوان العلم والتعلم لله -عز وجل- وهو العنوان العريض والذي في طياته هو عنوان كنت قد أضمرته في نفسي، و فصل العلوم كوني و ديني خطر كفصل الدين عن الدولة، فعندما فصلنا العلوم واهتمنا بعلوم الدين وهو علوم الفقه والسيرة و العلوم الشرعية بكليتها، ووضعنا أولوياتنا في أذهان أبنائنا أن تكون العلوم الأخرى من هندسة وكيمياء وفيزياء والتفوق فيها وحيازتها في المرتبة الثانية فكانت هناك أمور كبيرة التقصير بها، صرنا في الصف الثاني بالنسبة للأمم فسامتنا الأمم والبشرية سوء العذاب، وأقول الشكر موصول للدكتور محمد راتب النابلسي فقد طلبت المحاضرة منه، فدلني على الدكتور بلال ولم تكن لي معرفة سابقة بالدكتور بلال فجزاه الله خيراً الشيخ راتب، و جزى الله خيراً الدكتور بلال وأعود إلى مداخلتني التي أقول فيها تلاوة آية كريمة كنت قد كتبها في مقدمة مشروع تخرجي في الهندسة المدنية عام 1991 ، فقلت بداية: بسم الله الرحمن الرحيم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ ضِلْحًا قَالَ يُقَوْمُ عِبْدُوا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَعِفُّوه نُمُ
نُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (61)

(سورة هود)

هل عمارة الأرض تكون بدون علوم الكون كما تفضل الدكتور بلال والتفوق بها، فالاستفادة من هذه الأرض التي دلها الله لنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ دَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ لَنُشْوُزُ (15)

(سورة الملك)

نعم أرض دلوله، دلوله بعلومنا التي علمنا الله إياها علوم هذه الأرض بما فيها من هواء ومعادن وفيزياء وكيمياء وهذه القوانين التي أوجدها ربنا -عز وجل- وأحكم بها هذا الكون، فتفوقنا بهذه العلوم يمكننا أن نستفيد من هذه الأرض، وضبط لنا ربنا-عز وجل- الاستفادة من هذه الأرض بتعبده -عز وجل- بتعبدا إياه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)

(سورة الذاريات)

وهذه الأمانة التي حملنا الله إياها فضبطنا بدينه؛ دين الإسلام الذي بلغنا إياه وسيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنحن المسلمين مطالبون بالتفوق بالعلوم جميعها، أولها: ما يصلح أمر ديننا، وثانيها: ما يصلح أمر دنيانا التي توصل إلى آخرتنا إلى جنة ربنا -عز وجل-، نرجو الله -عز وجل- أن يجمعنا في مستقر رحمته تحت لواء سيد المرسلين في غرف النظر إلى وجه ربنا الكريم، وجزى الله خيراً مرة أخرى الدكتور بلال و المداخلين جميعاً كل خير، بارك الله فيكم وأحسن إليكم، وصلى الله وسلم على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، كلمة الختام مع الدكتور بلال فليتفضل مشكوراً.

الدكتور بلال نور الدين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أشكر جميع الإخوة الكرام، أشكر أخي المهندس أبا عامر الذي تفضل بتنسيق هذه المحاضرة وجميع الإخوة في البيت الحمصي وجميع المشاركين وجميع المعلقين، حقيقة ما في هذا اللقاء ما يميزه هو أنه يجمع نخبة من أهل العلم والفصل والفكر والتربية و الطب وغير ذلك، وأفتخر بوجودي بينكم، و شكر الله لكم حسن طنكم بأخيتكم واستماعكم وطيب إنثراءتكم ، وليس فيما تفضل به الإخوة أسئلة بقدر ما فيه إنثراء للموضوع يستحق الشكر ويستحق الثناء، فكل ما ذكر هو إنثراء للموضوع، وإضافات رائعة وجميلة جداً أفدت منها شخصياً، ولعل جميع الموجودين قد أفادوا منها أيضاً، إلا أنني أعلق على أمرين جاء في كلمة الأخ الدكتور الكريم سامحوني الأسماء لما أحفظها، الأخ الذي تحدث عن ال100%.

المقدم:

دكتور عمر زيتون.

الدكتور بلال نور الدين:

نعم، فهذا ربما يكون فيه حاجة إلى التعليق، أعلق على ما تفضل به من الهداية، للهداية أربعة أنواع جئت على هداية منها في المحاضرة في البدء لما تحدثت: (فَالْأَمْرُ قَسَمٌ تُكَلِّمُ نُبُوشَ* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) هذه هداية عامة لجميع المخلوقات حتى الجمادات، وهناك هداية هي هداية الدلالة وهذه خاصة بالمكلفين فقد هدانا الله تعالى جميعاً حينما بعث لنا نبيا ورسولا وقرآنا وكوتا وقطرة وعقلاً هدانا -جل جلاله-، أما هداية التوفيق فهي خاصة بالمؤمنين الذين استجابوا لهداية الدلالة، وهناك هداية رابعة يوم القيامة قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ تَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)

(سورة محمد)

يقول -صلى الله عليه وسلم:-

{ إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُيسُوا بِقَنْطَرٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مِظَالَهُمْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا تُقُوا وَهَدُّبُوا أُذُنَ لَهُمْ بِدُخُولِ

الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحْذَهُمْ بِمَسْكِيهِ فِي الْجَنَّةِ أَدْلُ مِنْهُ بِمَسْكِيهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا {

(أخرجه البخاري، وأحمد عن أبي سعيد الخدري)

وحتى لغير المؤمنين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حُشِرُوا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهَذُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ لُجِيمٍ (23)

(سورة الصافات)



المطلق هو الله تعالى وحده
دلوهم إلى الصراط؛ فهي أربعة هدايات تفضل الأخ الحبيب بالإشارة إليها فأحببت أن أعلق عليها، وأخيراً فما تفضل به من ملاحظته حول الـ100% فأظن أن ما تفضل به صحيح، فنحن نسيبون ولسنا مطلقين، المطلق هو الله تعالى وحده، فما يأتي من الله من وحي هو الـ100% ودون ذلك فهو لا يقال: 100% إلا أن يكون علماً بالله بما جاء وحيًا من عند الله تعالى، لكن لعلي وهمت أو قصدت بذلك القوانين تحديدًا التي تكتسب لا أقول صفة اليقين لكن صفة الاضطراب بمعنى المعادن تتمدد بالحرارة : أي عندما تنتقل من مرحلة النظرية إلى مرحلة القانون الذي يُطبق، وفي القرآن الكريم يوجد قوانين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى (124)

(سورة طه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

(سورة النحل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِن مَّامِيقَتِهِمْ فَأَمْسِكُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّبِعِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2)

(سورة الطلاق)

فهي قوانين قرآنية عظيمة سمّاها الله تعالى في قرآنه سنناً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَتَجِدُنَا فِي الْأَرْضِ مَكْرًا وَسِتِّيًّا وَلَا يَجِئُ لِمُكْرٍ لَّسِتِي إِلَّا يَا إِلَهِي قَهْلُ تَنْظُرُونَ إِلَّا سَتَّ الْأَوَّلِينَ قَلَن تَجِدَ لِسِتِّي لِلَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ
لِسِتِّي لِلَّهِ تَحْوِيلًا (43)

(سورة فاطر)

أكرر شكري وتثاني على الجميع، وحيي وتقديري لكم جميعاً، وأسأل الله أن يجمعنا دائماً على خير، وأن يفرج عن أمتنا وأن يجعلنا بناءً خير وبناءً حق وعدل، نساهم في رفعة أمتنا القادمة إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

المقدم:

الحمد لله رب العالمين، جزاكم الله خير الجزاء وأرجو أن تختتم لنا بدعاء، بارك الله فيكم.

الدكتور بلال نور الدين:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على سيدي رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر مولانا رب العالمين، اللهم أغثنا بحلالك عن حرامك ويفضلك عن سواك، اللهم لا تؤمننا مكرراً ولا تهتك عنا سترك ولا تنسنا ذكرك، وارزقنا اللهم حسن الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راضي عنا، أنت حسبنا عليك اتكالنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين وأنت أرحم الراحمين، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعزِّ فيه أهل طاعتك ويُهدى فيه أهل عصيانك ويؤمِّر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر، واجعلنا إلهي جنداً لخدمه حقك ودينك يا أرحم الراحمين، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم استعملنا في خدمة دينك وعبادك يا أرحم الراحمين، اللهم اجزي خير الجزاء وجزاء الخير كل من ساهم في إعداد هذا اللقاء وذلك البيت الجميل، اللهم اجزههم خير الجزاء وعظيم سؤلهم، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا وللمن سبقنا بالإيمان ولأشياخنا وللمن له حق علينا، اجعل جمعنا الافتراضي هذا جمعاً مباركاً مرحوماً، ولا تجعل فينا ولا معنا شقياً ولا محروماً، الحمد لله رب العالمين.